

# جوزيف فان أس والفكر الإسلامي

## مقاربات مع الدراسات الإسلامية

### Joseph van Es and Islamic Thought

### Approaches to Islamic Studies

أ.د. ليث شاكر محمود(\*)

Prof. Dr. Laith Shaker Mahmoud

#### مقدمة

حول المُستشرق الألماني الفذ (جوزيف فان أس) Josef van Ess، أقامت مؤسسة بيت الحكمة، ممثلةً بقسم الدراسات التاريخية، ندوةً علميةً لمناسبة وفاته، وبحضور ابنته الدكتورة مارغريت فان أس Margarete van Ess، الأستاذة في معهد الآثار الألماني Deutsches Archäologisches Institut وحضور جمع غفير من الباحثين والمثقفين والأكاديميين العراقيين؛ بسبب مكانة الفقيه العلمية بين أوساط الأكاديميين العراقيين المتخصصين في حقل التاريخ والفلسفة والعلوم الإسلامية؛ ولما تركه من تراثٍ فكريٍّ ثرٍ في حقل الدراسات الإسلامية، وتاريخ التصوف الإسلامي، وعلم العقائد الإسلامية،

(\*) جامعة بغداد / كلية الآداب.

University of Baghdad / Collage of Arts

والدراسات التاريخية الإسلامية القروسطية. موضوع البحث إطلالة على مآثر الفقيه في التاريخ والفكر الإسلامي، وعلاقته بالحلقة الأكاديمية العراقية.

ينقسم البحث إلى محورين رئيسين أهما محور الأول يتناول قراءة في سيرته الذاتية وتكوينه الفكري واهتمامه بالتاريخ الإسلامي وعلاقته بالأكاديميين العراقيين. وفيه تناولت المنطلقات الفكرية لجوزيف فان أس ونشأته ودراسته الأكاديمية ومناصبه الأكاديمية وأوسمته وعضوياته وعلاقاته مع الأكاديميين العراقيين وزيارته ومحاضراته التي ألقاها في كلية الآداب بجامعة بغداد، وأخيراً محاضراته في المجمع العلمي

Sprachen وعلم اللغات الكلاسيكية Klassische Philologie ، وكذلك الفلسفة، وحصل على الدكتوراه عن التصوف الإسلامي، من جامعة بون - ألمانيا، سنة ١٩٥٩م. دكتوراه (فخرية) عن الحارث المحاسبي، وعَمِل بالتدريس في جامعة توبينغن Eberhard Karl University of Tübingen خلفاً لأستاذه رودى باريت Rudi Paret ١٩٦٨م، حتّى تقاعده سنة ١٩٩٩م، وفي سنة ١٩٦٤م قدّم أطروحةً حول النظرية المعرفية في المدرسة الإسلامية، نال الأستاذية على إثرها، وحصل على شهادة التأهل للأستاذية من جامعة غوته في فرانكفورت سنة ١٩٦٤م. كما حصل على درجة الأستاذية من جامعة كاليفورنيا - لوس أنجلوس University of California, Los Angeles (١٩٦٧م)، والجامعة الأمريكية في بيروت (١٩٦٧-١٩٦٨م). سنة ١٩٦٨م خلف رودى باريت كأستاذ بالمعهد الشرقي في جامعة ابرهارد كارل في توبينغن، في كرسي (الدراسات الإسلامية والدراسات السامية) حتّى تقاعده ١٩٩٩م<sup>(١)</sup>.

الأوسمة الأكاديمية: حاصل على ميدالية المُستشرق الإيطالي جورجيو ليفي ديلا فيدا Giorgio Levi Della Vida، سنة ١٩٩٩م، وحائز على جائزة الكتاب الإيراني، جمهورية إيران الإسلامية سنة ١٩٩٩م. زميل أكاديمية القرون الوسطى الأمريكية، أكاديمية هايدلبيرغ، عضو وزميل أكاديمية النقوش والوثائق والرقوق الأوروبية. وكان البروفيسور (فان أس) عضواً في أكاديمية هايدلبيرغ للعلوم، وأكاديمية برشلونة للآداب، والأكاديمية العراقية

بينما يدرس المحور الثاني: "قراءة في منهجيته ومحتوى مؤلفاته في الفكر الإسلامي"، وتقوم منهجية الدراسة على القراءة التاريخية لسيرة البروفيسور جوزيف فان أس، وإحصاء دراساته عن الفكر والتاريخ والحضارة الإسلامية، ومن ثمّ تصنيف هذه المؤلفات ضمن الموضوع والمحاولة للوصول إلى أهمّ المُعطيات والتائج من خلال اعتماد منهج التحليل الكميّ لتلك المُصنفات، ومن ثمّ تحليل المسار الفكري والأكاديمي للبروفيسور جوزيف فان أس.

### المحور الأول: قراءة في سيرة المُستشرق الألماني جوزيف فان أس

جوزيف فان أس، باحثٌ في الفكر والتاريخ الإسلامي، ألماني الجنسية، من أصولٍ هولندية، ولد في ١٨ / أبريل / ١٩٣٤م في مدينة آخن Aachen بألمانيا، على الحدود البلجيكية - الألمانية. نشأ (فان أس) في عائلةٍ فقيرة، وعانى مع عائلته ظروف الحرب العالمية الثانية World War II، وبالرغم من ذلك أصرَّ على إكمال دراسته الإعدادية، وعُرف عنه أنّه كان محباً لدراسة اللغات ويتمتع بذاكرةٍ نقيّة قوية. دَرَس التاريخ الإسلامي والأدب الأسباني والفلسفة والحضارة الإسلامية في العصور الوسطى خلال الفترة (١٩٥٣-١٩٥٨م) في جامعتيّ بون The Rhenish Friedrich Wilhelm University of Bonn وفرانكفورت Goethe University. تفرَّغ لدراسة العلوم الإسلامية، إذ أُلْمِ بثلاثٍ من اللغات الإسلامية القديمة: العربية والفارسية والتركية. ودَرَس بعد ذلك اللغات السامية Semitische

للعلوم، وجمعية الفلسفة الإيرانية، والأكاديمية التونسية للعلوم، والأكاديمية الأمريكية للقرون الوسطى، والأكاديمية الأوروبية.

### حياته العائلية

تزوَّج من ماري لويز بريمر، في ١٠ / أغسطس / ١٩٥٩ م. الأبناء: مارغريت، هانز، غيرترو، ريتشارد.

### علاقته بالأكاديميين العراقيين

تعود علاقة البروفيسور (فان أس) بالمؤسسات الأكاديمية العراقية لأكثر من ثلاث عقود من الزمن. فقد جمعت صلاته وثيقة بالأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي (١٩١٨-٢٠٠٣ م)، رئيس المجمع العلمي العراقي السابق، وأستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة بغداد. تكررت زيارته للعراق منذ بداية سنة ٢٠٠٠ م، وأعقبها زيارات أخرى بعد سنة ٢٠٠٣ م. هذه العلاقات الوطيدة التي ارتبط بها مع المؤسسات الأكاديمية العراقية، التي ظهرت من خلال زيارته المتكررة للعراق، وإلقاءه المحاضرات في الجامعات والمؤسسات الأكاديمية<sup>(٥)</sup>.

### محاضراته في كلية الآداب بجامعة بغداد

ألقى (فان أس) محاضراته في كلية الآداب بجامعة بغداد سنة ٢٠٠٠ م، عن بحثه الموسوم: «طاعون عمواس»، وجاء بدعوة من عمادة كلية الآداب وبرفقة الأستاذ الدكتور عبد الإله فاضل، رئيس قسم الآثار وقتذاك، الذي أخذ على عاتقه الترجمة عن الألمانية، وفي إطار موازٍ كان الأستاذ الدكتور مرتضى حسن النقيب، رئيس قسم التاريخ، يترجم محاضرة البروفيسور (فان أس) مباشرة عن اللغة الإنكليزية. وحضر العديد من

وحصل البروفيسور (فان أس) على وسام الاستحقاق البروسي Pour le Mérite سنة ٢٠٠٩ م، كما حاز على جائزة المؤتمر العالمي للدراسات الشرق أوسطية (WOCMES) سنة ٢٠١٠ م، فيما حصل على وسام صليب الاستحقاق الأكبر Verdienstorden der Bundesrepublik Deutschland من جمهورية ألمانيا الاتحادية<sup>(٢)</sup>.

### حياته المهنية الأكاديمية

عُيِّن أستاذاً مساعداً في جامعة فرانكفورت (١٩٥٨-١٩٦٣ م)، ومحاضراً (١٩٦٤-١٩٦٧ م). وأستاذاً مشاركاً بالجامعة الأمريكية ببيروت (١٩٦٧-١٩٦٨ م). أستاذ جامعة توبينغن - ألمانيا (١٩٦٨-١٩٩٩ م)، أستاذ فخري بألمانيا منذ سنة ١٩٩٩ م. أستاذ مشارك زائر بجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس ١٩٦٧ م، دُرِّس في جامعات: برينستون في الولايات المتحدة الأمريكية، وجامعة باريس، وجامعة أكسفورد. اللغات التي يُحيدها: اللغة التركية، والعربية، والفارسية، والإنكليزية<sup>(٣)</sup>.

### إنجازاته

تمَّ إدراج (فان أس) كباحث إسلامي جدير من أعماله المنشورة: علم الكلام والمجتمع الإسلامي في القرنين الثاني والثالث الهجري، تاريخ من الفكر الديني في بدايات الإسلام، حيث أعاد في مجلّداته الستة بناء المباني الفكرية لعلماء الدين الإسلاميين السابقين. حاصل على عضوية

السنة الأخيرة من مرحلة الدكتوراه، وقدّمت له موضوع أطروحتي الذي كان حول «قبائل قضاة المسيحية في القرنين السابع والثامن الميلاديين»، وقد أثنى على موضوع الأطروحة مؤكّداً على أهمية تاريخ المسيحية العربية في تاريخ صدر الإسلام، كما أكّد على أصالة الموضوع وضرورة تتبع كتب الأنساب وعمل مُشجّرات لأصول القبائل العربية المسيحية في شمال وغرب شبه الجزيرة العربية، وموقفها من الإسلام وأسلمتها فيما بعد<sup>(٩)</sup>.

### محاضرته في المجمع العلمي العراقي

تعود علاقة (فان أس) مع المجمع العلمي العراقي إلى صلته الوثيقة بالأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي، رئيس المجمع العلمي السابق، منذ أكثر من ثلاثة عقود من الزمن، فبيل محاضرته سنة ٢٠٠٠م في المجمع العلمي العراقي في السنة ذاتها، وبُعيد إلقاء محاضرته في كلية الآداب بجامعة بغداد وبأيام قليلة. أقام المجمع العلمي العراقي أمسيةً نقاشيةً عن علم العقائد والدراسات الإسلامية في منظور جوزيف فان أس، في الموسم الثقافي الثاني، وبحضور الأستاذ مرتضى حسن النقيب، والأستاذ عبد الإله فاضل، وحضور عميد كلية الآداب وقتذاك الأستاذ الدكتور نزار عبد اللطيف الحديشي، والأستاذ الدكتور بهجت عبد اللطيف من قسم التاريخ بكلية الآداب، مع العديد من أعضاء المجمع العلمي العراقي. وحضرت أنا مُستمعاً أيضاً مع طلبة الدراسات العليا من قسم التاريخ. في حينها تطرق (فان أس) إلى علم العقائد الإسلامية بمُحاضرةٍ مقتبسة من كتابه، وتطرق أيضاً إلى بحثه عن (طاعون عمواس)، هذه الطروحات مثّلت خلاصة أعماله الكتابية من كتبٍ وبحوثٍ

طلبة الدراسات العليا والتدريسيين من قسمي التاريخ والآثار، فضلاً عن أساتيد من أقسام الكلية الأخرى، كاللغة الإنكليزية والفلسفة<sup>(١٠)</sup>، ترجّل الأستاذ (فان أس) المنصة مُلقياً بحثه «طاعون عمواس وفقاً لمرويات الطبري»، وطرح إشكاليات المرويات التاريخية الإسلامية المتمثلة بمرويات الطبري، وطبيعة الاختلافات في سند المرويات التاريخية الإسلامية، وأهمية هذا الطاعون في القضاء على طبقة مهمة من الصحابة في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)<sup>(١١)</sup>.

تأثر البروفيسور (فان أس) بمدرسة توبينغن الاستشراقية الألمانية المعتدلة، المتمثلة بمدرسة يوليوس فلهاوزن Julius Wellhausen (١٨٤٤-١٩١٨م)، صاحب نظرية النقد العالي للوثائق، والذي اعتمد مباشرةً بمرويات الطبري (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، في كتابه: (تاريخ الدولة العربية وسقوطها) كان فلهاوزن حينها أستاذ اللغات السامية والدراسات الاستشراقية والإسلامية في جامعة توبينغن، وهناك اكتسب شهرته الواسعة من كتابه المذكور أعلاه، الذي تُرجم إلى العديد من اللغات الأوروبية، وانتشر في عموم القارة الأوروبية، والمؤسّسات الفكرية الغربية، وهذا التأثير لاحظناه في بحثه عن (طاعون عمواس)، عندما اعتمد على روايتي الطبري الأولى سنة ١٨هـ، والثانية ١٩هـ<sup>(١٢)</sup>.

### لقائي به بعد انتهاء محاضرته في كلية الآداب

تشرّفت بلقاء البروفيسور فان أس بُعيد الانتهاء من محاضرته عن «طاعون عمواس»، وكنت حينها مدرّساً في قسم التاريخ بكلية الآداب، وطالبا في

ومقالات منشورة. وترجم هذه المحاضرة فوراً الأستاذ الدكتور مرتضى حسن النقيب عن اللغة الإنكليزية. وقد نال (فان أس) استحسان ورضا وقبول وإعجاب الحاضرين من الباحثين والطلبة العراقيين<sup>(١٠)</sup>.

## وفاته

توفي في ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٢١م، في مدينة توينغن<sup>(١١)</sup>.

## المحور الثاني: قراءة في منهجيته ومحتوى مؤلفاته في الفكر الإسلامي

### شغفه باللغات والتاريخ الشرقي والعلوم الإسلامية

كرّس (فان أس) نفسه، مثله مثل غيره من المُستشرقين الألمان المعتدلين والموضوعيين، لتعلم اللغات الشرقية أولاً، ومن ثمّ لدراسة التصوف الإسلامي والحضارة الإسلامية، وأخيراً علم العقائد الإسلامية والطوائف الإسلامية، وخاصةً في القرون الأولى بجميع أشكالها. وهذا ما يجعله رائداً في تخصصه من بين المُستشرقين الغربيين المعاصرين، وواحدًا من العلماء القلائل في دائرة العلماء المسلمين الذين ليس لديهم فقط اهتمام واضح بالمسائل العقائدية والفلسفية، ولكنهم أيضاً سعوا دائماً إلى مواصلة البحث عن حوارٍ مع علم الكلام الإسلامي والفلسفة المسيحية. ففي سنة ١٩٥٩م حصل (فان أس) على درجة الدكتوراه من جامعة بون عن أطروحته حول التصوف الإسلامي، وسنة ١٩٦٣م قدّم في فرانكفورت أطروحته لنيل الأستاذية حول نظرية المعرفة في المدرسة الإسلامية، لينال عَقَب ذلك

لقب الأستاذ الزائر في جامعة كاليفورنيا - لوس أنجلوس (١٩٦٧م)، والجامعة الأمريكية في بيروت (١٩٦٧-١٩٦٨م). وسنة ١٩٦٨م خلف أستاذه المُستشرق رودري باريت<sup>(١٢)</sup> كأستاذ كرسي للغات السامية والاستشراق<sup>(١٣)</sup>.

## بدايات تأثره بالاستشراق الألماني المُعتدل والتاريخ الشرقي

إنّ المتبع لسيرة (فان أس)، وولعه باللغات الشرقية والحضارة الإسلامية، وعلاقته بأستاذه هيلموت ريتير Hellmut Ritter (١٨٩٢-١٩٧١م)، الذي كان بدوره مترجماً وعالمًا بالمخطوطات الإسلامية في إسطنبول، وعُرف عن الأخير ولعه بالدراسات الإسلامية ومعرفته باللغات الشرقية، التركية والفارسية، وكتب العديد من البحوث والدراسات الفيلولوجية؛ ولذلك وُكِّع كثيراً بأستاذه وكتب عنه كتاباً يؤرِّخ فيه منهجه وسيرته الذاتية؛ لأنّه كان مشرفاً على أطروحته للدكتوراه عن التصوف الإسلامي، الموسومة: (أبو الحارث المُحاسبي (٢٣٤هـ/ ٨٥٧م) من جامعة بون كما أسلفنا، سنة ١٩٥٩م، وتأثر كثيراً بأستاذه المُشرف، إذ كان الأخير ضليعاً باللغة التركية، وعَمِل مترجماً في إسطنبول، وعَمِل بالمخطوطات الإسلامية، وأنجز العديد من المخطوطات الإسلامية؛ ولذلك تأثر (فان أس) بهذا التراث لأستاذه المُشرف<sup>(١٤)</sup>. وزامل (فان أس) المُستشرق رودولف زلهاييم (١٩٢٨-٢٠١٣م)<sup>(١٥)</sup>. وله كذلك مؤلّفات عن سيرة المُستشرقين، أمثال ما كتبه: (في الظلمة.. المُستشرق هلموت ريتير)<sup>(١٦)</sup>، وكتب أيضاً عن المُستشرق الفرنسي لويس ماسينيون Louis Massignon (١٨٨٣-١٩٦٢م) والتصوف<sup>(١٧)</sup>.

## أسباب تأثره بعلم الكلام الإسلامي

اهتم (فان أس) منذ نعومة أظفاره بالفلسفة اليونانية والأدب الإِسْبانِي والتصوف الإسلامي، وحاول منذ البدء أن يُكرِّس هذه المعارف في دراسته لعلم الكلام في القرنين الثاني والثالث الهجريين - الثامن والتاسع الميلاديين، وركَّز فيما بعد على دراسة النظام التعليمي في العصور الوسطى الإسلامية، وعلى الشريعة الإسلامية والروايات المتعلِّقة بالحديث النبوي، وتناقله ومروياته، وتناقل هذه الرؤى في المساجد والمدارس، والتركيز على التأويلات والتفسيرات الجديدة للفقه الإسلامي الأصولي الذي ساد في المجتمعات الإسلامية وقتذاك، سواءً من قبل القدرية أو المعتزلة في العصور العباسية؛ ولذلك دفعته هذه المعارف إلى الكتابة في هذا الحقل الخصب<sup>(١٩)</sup>.

## الإسلام والقرآن

كتب (فان أس) موضوعاً مهماً، بعنوان: (القرآن.. نص إصلاحِي)، قائلاً: «القرآن هو بالفعل كتابة إصلاحية - بقدر ما يتم رفض الديانات القديمة باعتبارها طرقاً خاطئة. تجربة تاريخية: لم يُختبر معاصرو الرسول المسيحية كدين موحد، ولكن كثالث «كنائس» مختلفة تُسيء معاملة بعضها بعنف»<sup>(٢٠)</sup>. وهنا يخطأ في اعتبار الإسلام أخطأ باختبار المسيحية، إذ إنَّ الحوارات التي جرت في عصر الرسالة بين المسلمين والمسيحيين خير دليل تاريخي داحض على بطلان رؤية (فان أس) أنَّ الإسلام لم يُجر حواراً مع المسيحية<sup>(٢١)</sup>.

## علم التاريخ والحديث النبوي الإسلامي

اهتم (فان أس) بالتاريخ كونه يركِّز على بداية

دراساته عن التصوف الإسلامي<sup>(٢٢)</sup>، وهنا اكتسب مهارات معقَّدة للتعامل مع التصوف الإسلامي، فليس من السهل على المؤرِّخ المبتدئ، وبِلبِ وحَتَّى المُحترف، التعامل مع التصوف وحركاته ورجالاته، لما ينطوي من تعقيدات في الفكر والفلسفة الإسلامية، وارتباطها مع الديانات السَّماوية الأخرى<sup>(٢٣)</sup>. كما واصل اهتماماته بالحديث النبوي وربطه بعلم الكلام الإسلامي<sup>(٢٤)</sup>.

## مقارباته بين المسيحية والإسلام مع هانز كونغ

أسهم (فان أس) في سلسلة نقاشات، تُرجمت لبحوث منشورة في جامعة توينغن سنة ١٩٨٤م، هذه الدراسات حاولت إيجاد قواسم مشتركة بين الديانتين، وقد نُشرت بعنوان: (المسيحية وأديان العالم)، وخلاصة الدراسات تركَّز على وجود القواسم بين المسيحية وديانات العالم، بما في ذلك موضوع علم الكلام الإسلامي<sup>(٢٥)</sup>، وموضوع التصوف وعلاقته بالمسيحية، واشترك الاثنان في الكتابة كلٌّ حسب تخصصه<sup>(٢٦)</sup>.

## الخاتمة

بعد القراءة المتفحّصة لسيرة ومؤلفات المُستشرق جوزيف فان أس، توصلت إلى النتائج التالية:

١. يعود سبب ولع (فان أس) باللغات الشرقية لتأثره بأستاذه هيلموت ريتز، وتعلّقه بالدراسات الإسلامية إبان دراسته للحضارة والفلسفة الإسلامية واليونانية.

٢. إنّ تعلّقه باللغة التركية يرجع إلى تشجيع أستاذه هيلموت ريتز، الذي كان مترجماً في إسطنبول.

٣. نجح (فان أس) بأن يؤسّس حقلاً معرفياً متخصصاً له بالحضارة الإسلامية وتاريخها عن علم الكلام؛ لارتباطه بالأحداث التاريخية طيلة القرنين الثاني والثالث الهجريين.

٤. حاول (فان أس) أن تكون له خصوصية في المنهجية والرؤية لتحليل علم الكلام الإسلامي؛ بسبب ولعه بالفلسفة اليونانية والإسلامية.

٥. تأثر (فان أس) بمدرسة المُستشرق الألماني يوليوس فلهاوزن - نظرية النقد العالي للوثائق - وتجلّى لنا ذلك من خلال نقده للعديد من الأحداث والمعتقدات الإسلامية، ونقد وتحليل المخطوطات الإسلامية المتعلّقة بالطوائف الإسلامية: المعتزلة، الإباضية، الخوارج.

٦. ما قدّمه (فان أس) للمعرفة والثقافة والأكاديمية الإسلامية إضافة واضحة لن ولم يُنكرها مسلم شرقاً وغرباً.

## الهوامش

(1) Gilliotlt, Claude, Une LeÇon Magistrale D'Orientalisme: L'Opus Magnum de J. Van Ess, In: Arabica, Leiden: Brill, 2000, vol. 58, Pp.141-142; Van Ess, Josef, Die Gedankenwelt des Hārīṭ al-Muhāsibī anhand von Übersetzungen aus seinen Schriften dargestellt und erläutert, Bonn: Selbstverlag des Orientalischen Seminars de.

(2) Murad, Hasan Qasim, The Beginnings of Islamic Theology.. A Critique of Joseph Van Ess' Views, Islamic Studies, Published by: Islamic Research Institute, International Islamic University, Islamabad, Vol. 26, No. 2 (Summer 1987), Pp.191-204.

(٣) يُنظر: مراد حسن قاسم، بدايات علم الكلام الإسلامي.. نقد لوجهات نظر جوزيف فان أس، مجلّة دراسات إسلامية، مؤسّسة البحث الدولية الإسلامية جامعة إسلام آباد المجلّد ٢٦ العدد ٢، صيف/ ١٩٨٧م، ص ٢٠٤.

(٤) يُنظر: كتابه عن علم العقائد الإسلامية

Josef van Ess, «Theology and Society in the Second and Third Centuries of the Hijra. A History of Religious Thought in Early Islam», vol. 3, Brill, déc, 2017.

(علم الكلام والمُجتمع في القرن الثاني والثالث للهجرة). المجلّد ١، تاريخ الفكر الديني في الإسلام المبكّر: علم الكلام والمُجتمع هو الدراسة الأكثر شمولاً للتاريخ الفكري والديني الإسلامي، مع التركيز على علم اللاهوت الإسلامي. مع تركيزها على القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، فإنّها تظل أكثر دراسة بروبوغرافية تفصيلية عن المرحلة الأولى من نشأة الإسلام. نُشر علم اللاهوت والمُجتمع في الأصل باللغة الألمانية بين عامي Theology and science:، (١٩٩١-١٩٩٥م)



(١٦) يُنظر مقالته عن القرآن:

Joseph Van Ess, Islamforscher Josef van Ess: Der Koran ist eine reformatorische Schrift.

(١٧) ما كتبه عن ماسينيون الفرنسي، ونظريته في التصوف الإسلامي. لويس ماسينيون: آلام الحلاج الصوفي الشهيد

Louis Massignon: The Passion of al-Hallāj, Mystic and Martyr of Islam

(١٨) يُنظر مؤلفاته عن الفكر الإسلامي في صدر الإسلام:

A history of religious thought in early Islam bibliography and indices.

تاريخ الفكر الديني في بدايات الإسلام... بيليوغرافيا ومؤشرات، ليدن - بوسطن، ٢٠٢٠. كذلك يُنظر: نصوص للعلم الكلام لرشيد الدين فضل الله.

Der Wesir und seine Gelehrten: zu Inhalt und Entstehungsgeschichte der theologischen Schriften des Rašīduddin Faḡlullāh (gest. 718/1318).

كذلك يُنظر كتابه عن الإسلام والعلمانية secularism

Die Erkenntnislehre des Adudaddin al-Ici: Übersetzung und Kommentar des 1. Buches seiner Mawaqif.

النظرية المعرفية لعبد الدين الأيجي: ترجمة وتعليق الكتاب الأول من كتابه (المواقف)

Josef van] Ungenützte Texte zur Karrāmīya: eine Materialsammlung.

نصوص غير منشورة عن الكرامية: مجموعة من النصوص، شتاء ١٩٨٠، هايدلبرغ.

The youthful God: anthropomorphism in early Islam; March 3, 1988.

. the case of Abū Ishāq an-Nazzām

علم الكلام والعلم: حالة أبي إسحاق النعيم، منشور في ميشيغان ١٩٧٨ م. كذلك يُنظر: (ازدهار الفكر الإسلامي) The flowering of Muslim theology، ازدهار الفقه الإسلامي.

(٥) مشاهدة وحضور شخصي لمحاضرة البروفيسور، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٠ م.

(٦) المشاهدة الشخصية.

(٧) المشاهدة الشخصية.

(٨) المشاهدة الشخصية.

(٩) يُنظر: محمود أليث شاكر أدور قبائل قضاء في عصر الرسالة والراشدين أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٠ م. ومقابلة شخصية مع البروفيسور جوزيف فان أس في كلية الآداب بجامعة بغداد.

(١٠) حضور لمحاضرة (فان أس) في المجمع العلمي العراقي، بعد محاضرة كلية الآداب بأبام.

(١١) وفاته في ٢٦ / نوفمبر / ٢٠٢١ م.

(١٢) يُنظر عنه: بدوي عبد الرحمن موسوعة المُستشرقين، (١٩٩٢ م)؛ السامرائي أنور الهدى فايق محمد، المُستشرق الألماني رودري باريت وكتابه (تحمّد القرآن)، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة تكريت، ٢٠١٣ م؛

Van Ess, Josef, «Rudi Paret (1901-1983)», In: Der Islam, Berlin: Walter de Gruyter, 1984, Band 61, Heft 1, Pp.1-7.

(١٣) يُنظر: مراد بدايات علم الكلام الإسلامي، ص ٢٠٤.

(١٤) رودلف زهايم (١٩٢٨-٢٠١٣ م): مُستشرق وباحث لغوي ألماني، كتب عن الأمثال العربية والعلم والعلماء للخلفاء المسلمين.

(15) Im Halbschatten : der Orientalist Hellmut Ritter (1892-1971).

(في الظلمة.. المُستشرق هيلموت ريتير (١٨٩٢-١٩٧١))، شتاء / ١٩٧٩، هايدلبرغ.



Mas'alat al-ğabir wa l-istiṭā'a dirāsa fī al-ḥadīṭ wa 'ilm al-kalām. Ibādī identity and imperial politics in early Islam.

الهوية الإباضية والسياسة الإمبراطورية في الإسلام المبكر.

الإله الشاب: التجسيم في صدر الإسلام، ٣/ مارس/ ١٩٨٨.

(١٩) المطوري محمد سعدون الاستشراق الألماني ودوره في الدراسات الشرقية (تاريخ الاستشراق الألماني وملاحم من أسسه المنهجية) مجلة دراسات استشراقية، العدد ٣، ٢٠١٥ م.

(٢٠) عروطاً صباح كامل الإسلام والمسيحية في عصر الرسالة في منظور المستشرق جوزيف فان أس وهانز كونغ أطروحة دكتوراه مراجعة: ليث شاكر محمود وحيدر قاسم مطر التميمي (بغداد: بيت الحكمة ٢٠٢١ م). كذلك يُنظر: مقدمة المترجم محمد الشاهد حوار المسيحية والإسلام لجوزيف فان أس وهانز كونغ.

(٢١) يُنظر كتابه عن الحديث النبوي بالألمانية:

Zwischen Hadit und Theologie: Studien zum Entstehen prädestinationaler Überlieferung.

(٢٢) يُنظر: كتابه عن بدايات علم الكلام الإسلامي

Van Ess, «The Beginnings of Islamic Theology», in: The Cultural Context of Medieval Learning, op., cit., p.96.

(٢٣) يُنظر: التميمي حيدر قاسم مطر، علم الكلام الإسلامي في دراسات المُستشرقين الألمان.. جوزيف فان أنموذجاً، (بيروت - الجزائر: دار الروافد الثقافية ومنشورات ابن النديم، ٢٠١٨ م)، ص ٣١١-٣٨٨.

(٢٤) يُنظر: تاريخ الفكر الديني في بدايات الإسلام.. بيبليوغرافيا وفهارس.

(٢٥) يُنظر مؤلفاته عن:

Ungenützte Texte zur Karrāmīya: eine Materialsammlung.

نصوص غير منشورة في الكرامية: مجموعة من المواد، شتاء ١٩٨٠، هايدلبرغ.

مسألة الجبر والاستعداد في الدراسة في الحديث وعلم الكلام.





## عرض كتاب

The Myth of the Andalusian  
Paradise  
Muslims, Christians, and Jews  
under Islamic Rule  
in Medieval Spain

By: Dario Fernandez-Morera  
Trans.: Azdashier Suleiman  
Review: Haidar Q. al-Tamimi

قراءة في كتاب:

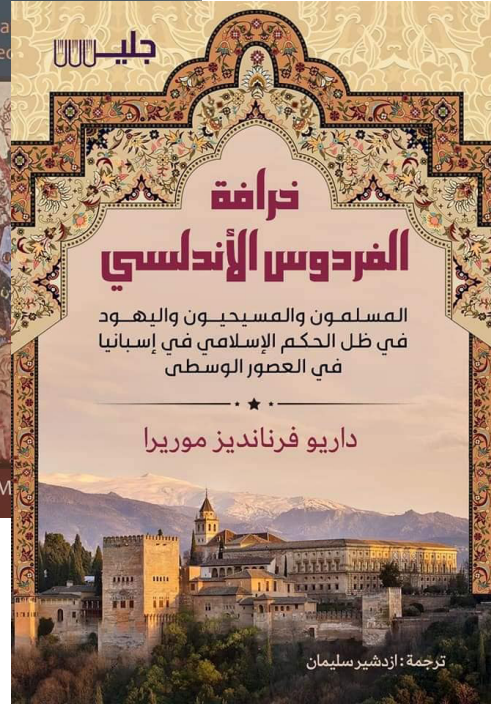
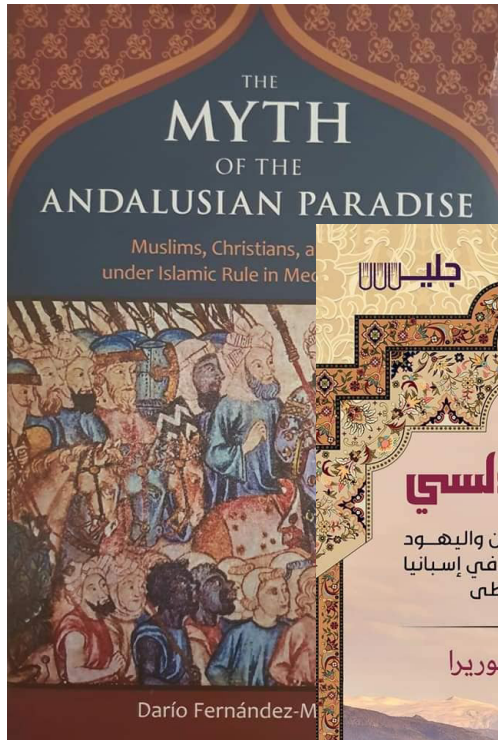
## خرافة الفردوس الأندلسي

المُسلمون والمسيحيون واليهود في ظلِّ الحكم  
الإسلامي في إسبانيا  
في العصور الوسطى

تأليف: داريو فرنانديز موريرا

ترجمة: ازدهير سليمان

قراءة: حيدر قاسم مَطَر التميمي(\*)



(\*) بيت الحكمة / قسم الدراسات التاريخية / بغداد.

أول مَنْ تبنّى ودعم مقولة وجود ثقافة التعايش والتسامح بين الأديان الثلاثة بشكل صريح، هو البروفيسور الإسباني أميركو كاسترو Américo Castro، في كتابه باللغة الأسبانية، الصادر سنة ١٩٤٨م، المعنون: (إسبانيا في تاريخها.. المسيحيون والمسلمون واليهود)<sup>(١)</sup> España en su historia: Cristianos, moros y judíos.

صدر كتاب (خرافة الفردوس الأندلسي.. المسلمون والمسيحيون واليهود في ظل الحكم الإسلامي في إسبانيا في العصور الوسطى) باللغة الإنكليزية<sup>(٢)</sup>، سنة ٢٠١٦م، لمؤلفه داريو فرنانديز موريرا<sup>(٣)</sup>، ليصدر باللغة العربية عن مكتبة جليس للنشر والتوزيع الكويتية سنة ٢٠٢٢م، وبواقع (٤٦٠) صفحة.

في هذا الكتاب المهم، يروي الباحث بجامعة نورث وسترن Northwestern University، داريو فرنانديز موريرا، القصة الكاملة لإسبانيا الإسلامية. يُسلّط (خرافة الفردوس الأندلسي) الضوء على التاريخ المخفي من خلال الاعتماد على وفرة من المصادر الأولية التي تجاهلها العلماء، وكذلك الأدلة الأثرية التي اكتُشفت مؤخراً فقط.

يوفر (خرافة الفردوس الأندلسي) إعادة تقييم مطلوبة بشدة لإسبانيا في العصور الوسطى. بينما يواصل الأساتذة والسياسيون والنقاد الاحتفال بإسبانيا الإسلامية بسبب "التعددية الثقافية" و "التنوع"، فإن فرنانديز موريرا يضع السجل التاريخي في نصابه، ويظهر أن الأسطورة المفيدة سياسياً هي أسطورة رغم ذلك.

كتاب غاضباً سجالي، متوترٌ وحاد. اختار موريرا الأندلس مكاناً لحفرياتهِ الأركيولوجية والاجتماعية في الأديان والتاريخ والاجتماع

وصوّب عليها جميعاً.

أثار كتاب (خرافة الفردوس الأندلسي) عند صدوره ردود فعل وتعليقات كثيرة، منها ما هو مُثَمِّن له وأخرى ناقدة، ولا عجب.

الكاتب، داريو فرنانديز موريرا، ذكر أن هدف مؤلفه هو إزالة الوهم عن إسبانيا المسلمة عبر مُساءلة القناعة المُنتشرة على نحو واسع بأنها كانت مكاناً رائعاً للتسامح وتعايش ثلاث حضارات تحت سيادة الحُكّام المسلمين المُتّورين والمطبوعين على حُبّ الخير.

الوصول إلى هدف المؤلف يقتضي - دوماً حسب الكاتب - تسليط الضوء الكاشف على خصوصيات أو مميزات الثقافات القروسطية. خصّص الكاتب الفصلين الأولين «احتلال واحتلال معاكس» و «تأثيرات الجهاد وتدمير الحضارة الناشئة [في إسبانيا]»، للحديث عن كيفية احتلال قوى الإسلام إسبانيا واستعمارها، دوماً وفق مفرداته. هدف الفصلان إثبات أن الإسلام لم يحتل إسبانيا سلمياً، ويناقش قول بعض المُستشرقين بأن العملية لم تكن احتلالاً وإنما موجة هجرة، وينقذه مشيراً إلى اكتشافات أثرية في (برقة) تُبيّن أن المسلمين عملوا على تدمير الكنائس التي وقعت في طريقهم إلى الأندلس.

من منظور الكاتب، فإن المسلمين غزوا البلاد بقوة السلاح لهزيمة مقاومة القوط visigoth، من دون نفي حصول عقود للاحتلال السلمي مقابل معاملة السكّان الذميين. لكن ما دفع بعضهم إلى قبول الاحتلال السلمي، هي القوة العسكرية التي كانت وراءه، دوماً حسب الكاتب. أمّا الفصول الخمسة المتبقية، فهي التالية: «حقائق الحياة اليومية في الأندلس»، «خرافة التسامح الأموي: محاكم التفتيش، قطع الرؤوس، الخوذة، والصلب»، «المرأة في إسبانيا المسلمة:

الرَّجَم والحجاب والعبودية الجنسية»، «حقيقة العصر الذهبي لليهود»، و «أوضاع المسيحيين: من الذميين إلى الإبادة». هدف هذه الفصول الإضاءة على مسائل ندر ما تمّ التعامل معها في الأبحاث ذات العلاقة، وهي الاضطهاد الحضاري في مناحي الحياة كافّة، وتهميش مجموعاتٍ بأكملها بهدف السيادة التامة على البلاد، برأي الكاتب.

من ناحيةٍ أخرى، يُشدّد الكاتب على استعمال الاسم (إسبانيا) وليس (أيبيريا) الذي ساد في الأندلس، موضحاً أنّ الاسم الحالي كان مستعملاً في الماضي ويمكن العثور عليه في كتابات الإخباريين العرب، رغم عدم نفيه إمكانية أن اسم البلاد الحالي مشتق من القرطاجية، أي «الكنعانية»، ربما من الجذر الكنعاني «سبان» الشمال - أفريقي أو ما يُسمّى (البوني)، بمعنى الخفي أي: البعيد.

كما يناقش الكاتب ما يراه من أسباب لتجنّب المُستشرقين الخوض في هذه المسائل، ويُعيدها إلى أسباب عديدة منها ما أطلق عليه «العمى بدافع» *motivated blindness*، أو «براءة المثقفين»، أو البحث العلمي الزائف أو الرديء من بعض الأساتذة والصحافيين. وفق الكاتب، فالمجتمع الأندلسي كان متعدّد الثقافات بفضل سلطة الأوتوقراطية ورجال الدين التي لا تعرف الرحمة، فحطّمته الصّراعات الإثنية والدينيّة والاجتماعية والسياسية.

تجاهل الكاتب حقيقة طرد المسلمين واليهود بُعيد سقوط غرناطة. كما يُدين الكاتب البَحّثة، متهماً إيّاهم بإهمال العامل الديني المحرك للفتوحات، أي الجهاد. يذكر على سبيل المثال أنّ الأندلس كانت دار جهاد وفي حالة حربٍ مستمرة مع جيرانها. على سبيل المثال خلال فترة حكم هشام الثاني، أُنجزت (٥٦) غزوة، وفي سنة ٩٨٥م على برشلونة تمّ أخذ (٧٥٠٠٠) أسير، معظمهم

من النساء، تمّ بيعهنّ في قرطبة للاستمتاع الجنسي. في مقدمة المؤلّف، يُشير الكاتب إلى مجموعةٍ من المُستشرقين الذين عبّروا عن آراءٍ مخالفةٍ لما يرد في مؤلّفه، فانهى الأمر بهم إلى الضياع، ومنهم على سبيل الذكر: عادل تيودور خوري، وروبرت متّاي، وألفرد مورافيا، والفرنسي سلفان غوغنهايم، صاحب مؤلّف *aristote au mont Saint Michel*، منوهاً إلى إخفاقهم في نشر أعمالهم عبرَ دور نشرٍ أكاديمية، ذاكراً بالتفصيل تأثير الدول العربية والإسلامية، ومنها السعودية والإمارات وقطر وليبيا وتركيا في دور النشر الأكاديمية وفرض رقابة على إصداراتها. وهنا يجلب مثلاً تحديّ «جامعة ييل» الأميركية *Yale University* للرقابة وقرارها إصدار مؤلّف يحوي الرسوم المسيئة للنبي محمّد (ﷺ)، فكانت النتيجة أنّها أصدرته، لكن من دون الرسم سيئ الذكر.

لكنه يتعرض في بعض التفاصيل إلى الحملة على الباحث الفرنسي، ويذكر أنّ (٥٦) باحثاً علمياً متخصصّين في الفلسفة والتاريخ نشروا رسالةً مفتوحة في صحيفة «ليبراسيون» الفرنسية *Libération*، يهاجمون العمل وصاحبه الذي خصّوه بكثيرٍ من النعوت.

اعتماداً على مؤلّفات الباحثة آنفي الذكر، يُشدّد الكاتب على عدم صحّة القول إنّ الحضارة اليونانية فُقدت، وأنّ العرب اكتشفوا الكتابات العلمية والفلسفية وأحيوها عبرَ الترجمة. ويُشير إلى حقيقة أنّ الترهات أنجزها عرب مسيحيون سكّان البلاد التي فتحها الإسلام، وأنّ قبة الصخرة بناها المسيحيون. كما يذكر أنّ كتابات أرسطو تُرجمت في «دير مون سان ميشيل» *abbey of mont saint-michel* قبل الترجمة العربية، وبالتالي لم يكن ثمة انقطاع بين أوروبا والحضارة اليونانية،



(٣) أستاذ مشارك في جامعة نورث ويسترن بالولايات المتحدة الأمريكية. حاصل على شهادة الماجستير من جامعة بنسلفانيا University of Pennsylvania، وعلى شهادة الدكتوراه من جامعة هارفارد Harvard. وقد عمل في المجلس القومي للعلوم الإنسانية بالولايات المتحدة United States National Council for the Humanities. تشمل أبحاثه ومحاضراته - من بين موضوعات أخرى - الأدب والثقافة والتاريخ الإسباني في العصور الوسطى. نشر العديد من الكتب والدراسات - باللغات الإنكليزية والإسبانية والفرنسية - حول القضايا الثقافية والتاريخية والنظرية والمنهجية، بما في ذلك: لقاء الأوربيين والهنود الأميركيين، وإسبانيا الإسلامية (الأندلس)، والحدائث، مختصاً بشكل أساسي بأدب الكاتب المسرحي والروائي الإسباني ميغيل دي ثيربانتس Miguel de Cervantes Saavedra (١٥٤٧-١٦١٦ م). شغل منصب مدير الدراسات الجامعية في قسم اللغة الإسبانية والبرتغالية بجامعة نورث ويسترن Northwestern University، من بين مؤلفاته:

- The Myth of the Andalusian Paradise: Muslims, Christians and Jews under Islamic Rule in Medieval Spain.
- *Chrétiens, Juifs et Musulmans dans al-Andalus: Mythes et Réalités de l'Espagne Islamique.*
- El Mito del Paraíso Andalusi: Musulmanes, Cristianos y Judíos bajo el Dominio Islámico en la España Medieval.
- American Academia and the Survival of Marxist Ideas; The Lyre and the Oaten Flute: Garcilaso and the Pastoral; Fray Luis: Poesía (ed.).
- *Europe and its Encounter with the Amerindians* (ed.).
- *Cervantes in the English Speaking World* (ed. with M. Hanke).
- *Cervantes y su mundo* (ed. with K. Reichenberger).
- *Cervantes y su mundo II* (ed. with E. and K. Reichenberger et al).

وأنه لم توجد حاجة لظهور الإسلام على المسرح العالمي لإنجاز ذلك.

من المآخذ على المؤلف تصوير الكاتب إسبانيا الكاثوليكية القروسطية كأنها تشبه سويسرا الحالية، وتجاهله حقيقة طردها المسلمين واليهود بعيد سقوط غرناطة.

يُضاف إلى ذلك ارتكاب الكاتب أخطاء بخصوص مسألة اللغات، إذ ادعى أن القوطية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً باللاتينية! كما أخذ عليه الاستطالة في الكلام عن الجهاد والادعاء بأن كل نتاج الحضارة الإسلامية سيء، ما يوحي بقوة بوجود أهداف للعمل لا علاقة لها بالبحث العلمي.

كما لَمْ أحد المعلقين عدم نشر العمل في دار أكاديمية، إنما عبرَ منظّمة سياسية يمينية.

أخيراً، يقول الكاتب إن مؤلفه، الذي يعتمد على نحو رئيس على المصادر الأولية، يتفحص التمثيل الثقافي للمسلمين واليهود والمسيحيين في إسبانيا المسلمة بهدف تسليط الضوء على بُنية المجتمع الذهنية وتمثيله الجماعي. لكنه في الوقت نفسه يُشدّد على نفيه أن هدفه الحكم على مسلمي ويهود ومسيحيي عصرنا، ولا يؤيد صراع الحضارات، كما أنه لا يسعى لبناء جسرٍ بينها.

## الهوامش

### (Endnotes)

(١) تُرجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية، وصدر عن المجلس الأعلى للثقافة بالقاهرة (المشروع القومي للترجمة)، رقم (٥٢٢)، ٢٠٠٣ م، الطبعة الأولى، ترجمة: علي إبراهيم منوفي، مراجعة: حامد أبو أحمد.

(2) Dario Fernández-Morera, *The Myth of the Andalusian Paradise: Muslims, Christians, and Jews under Islamic Rule in Medieval Spain*, Intercollegiate Studies Institute; 1er edición, (22 Febrero 2016).

عرض كتاب:

## العراق.. أول دولة في التاريخ

Iraq.. The First Country in  
History

د. نهار محمد نوري(\*)

A Critical Reading of the Book  
Conclusions  
Dr. Nahar Muhammad Nour

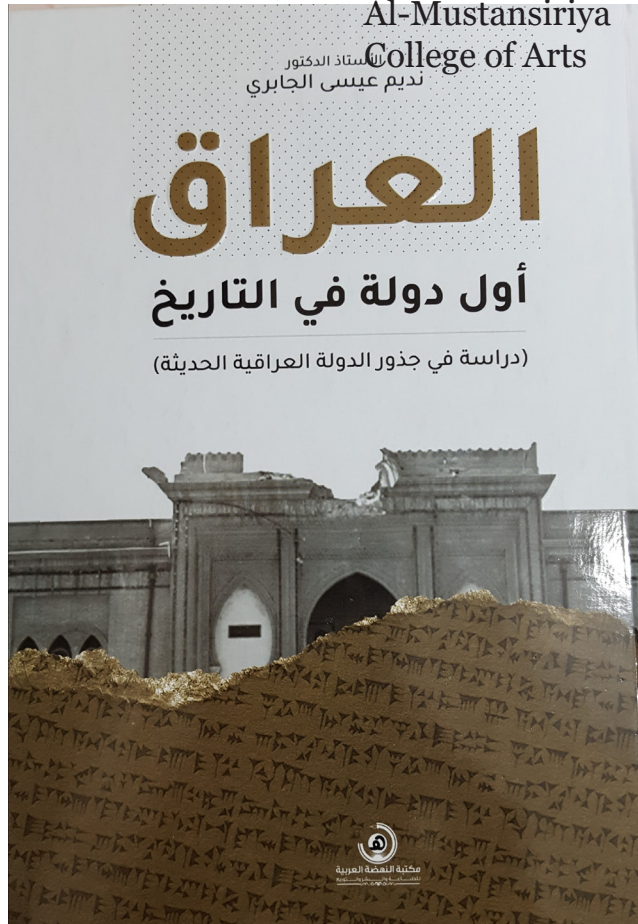
Al-Mustansiriya University

College of Arts

الأستاذ الدكتور  
نديم عيسى الجابري

## العراق أول دولة في التاريخ

(دراسة في جذور الدولة العراقية الحديثة)



[dr.nahar@uomustansiriya.edu.iq](mailto:dr.nahar@uomustansiriya.edu.iq)

(\*) الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب.

استضافت منصّة بغداد مدينة الإبداع الأدبي، التي تتخذ من بيت الحكمة مكاناً لعرض نشاطاتها، الدكتور نديم عيسى الجابري، حول كتابه: (العراق.. أول دولة في التاريخ)، وذلك يوم ١٣/ كانون الثاني/ ٢٠٢٢م. وقد تكونت لديّ من خلال اطلاعي على الكتاب، وتحديدًا خاتمته، بعض الملاحظات النقدية التي أسجلها على مؤلّفه، دوّنتها في أدناه.

ليس هدف هذا المقال التقليل من شأن أحد، ولا تضيّد المؤلّف فيما يظن أنّه سهو أو تعمّد. لكنه قراءة نقدية من أكاديمي لأكاديمي ستعتمد على النص مقابل النص، لنرى النسبة والتناسب في أحقية ردّ المعلومة إلى أصحابها الفعليين؟ وبودي أن أنوّه للقارئ الكريم أنّ قراءتي النقدية لا تتمحور تجاه الكتاب وفرصاته جميعاً، فهي تخص الباحث المؤلّف، لكنها ستنصب على آليات الاقتباس والاستشهاد التي أوردها السيد المؤلّف في خاتمة كتابه، والتي لها علاقة مباشرة ببحثي المعنون: العراق ليس مُصطنعاً، المنشور سابقاً سنة ٢٠١٨م، في مجلّة أسطور التاريخية، الدوحة - قطر، العدد (٨)، عن فرضية الدولة المُصطنعة، وهو مُتاح على الموقع الإلكتروني:

<https://bit.ly/3Giigxf>

من بديهيات أعراف كتابة الخاتمة - لدى الأكاديميين بالذات - أنّها تمثّل بنات أفكار المؤلّف الحصرية، أو أنّها تمثّل ما استوت عليه أفكاره وتجلّست في الخاتمة وصفاً وتحليلاً واستنتاجاً، وربما يُسمح - في الخاتمة - في حالات ضيقة للغاية في موضوعة بعض الهوامش والإحالات من باب التوكيد.

إذن، بالمحصلة إذا كان ثمة تنصيب على مصدرٍ

ما في الخاتمة - ونحن نتحدث عنها بالذات، فمن المفترض ردّ المعلومة لأصحابها الفعليين لتثبيت حقّ علمي، والابتعاد قدر المستطاع عن الضبابية والمرونة غير المُبررة في الاقتباس التي يقع بها مؤلّف ما بقصد أو بغيره!

في الكتاب موضوع البحث، لم يكن المؤلّف - مع الأسف - موفّقاً فيما طرح من اقتباساته في خاتمة كتابه أعلاه، إذ ترك بعض الفقرات دون الإشارة إلى مصدرها، وهو أنا (كوني مؤلّفها الأول، ومعبراً عنها بوصفي الخاص) وهضم هذا الحق في نسبته لمصادر أخرى، على الرغم من قراءته لبحثي (العراق ليس مُصطنعاً) بدليل استخدامه إيّاه؛ وللتدليل على هذا الكلام، أسوق التقابل النصّي في خاتمته مع الفقرات المتناظرة من بحثي:

أول نص الوارد في نهاية ص ٦٠٦، القائل: «مصطلح العراق بوصفه بديلاً اجتماعياً عن العشيرة، أو بديلاً جغرافياً عن الديرة»... في ظل الوجود البريطاني

هذا النص هو بالضبط ما وصفته بعد قراءة مُستفيضة لكتبٍ متعدّدة، أبرزها وثائقية، واستندت عليه في مطلع ملخصي لبحثي (العراق ليس مُصطنعاً، أنظر: ص ٧٤، ص ١٠٣-١٠٤)

السؤال هنا للمؤلّف، أين هامش التدليل على كوني أنا قائل هذه الجملة الاستنتاجية، لنرى أين الهامش؟

بعد ص ٦٠٦، أي في ص ٦٠٧ نرى الهامش الأول، من؟ هنا يصدمك المؤلّف وضع الهامش لكتاب جي ليسترنج، وربما سيدافع المؤلّف الكريم ويقول: أنا لم أهْمَش على مقولتك كوني أتقصّي مصطلح العراق، وأريد للقارئ البحث عن مرجع متخصص فيه، لا غبار على ذلك القول، لكن؟

حتى في ص ٦٠٧، هناك استنتاجان بنقطتان وضعتا أيضًا مهمشة على ليسترنج، وكلتا النقطتان من بُنة أفكارٍ الاستنتاجية، لنرى ما مُعطى هاتين النقطتين:

اعتماد صيغة: المركزية الموحدة للولايات العراقية الثلاث.. لاسيما منذ أواخر القرن التاسع عشر صعودًا..

تمّ تدوين العراق في الخرائط العثمانية، لاسيما منذ أواخر القرن التاسع عشر صعودًا. وذلك بالتزامن مع مصطلحاتٍ تمّ تداولها في الخرائط القديمة، لعلّ أبرزها مصطلح العراق العربي... الخ.

هذا النص المحور للنقطتين كُتبتا في صدر بحثي في ص ٧٤، وجزء منها كالآتي:

يرى الباحث أنّ ثمة نزعة عراقية راسخة كرّستها الإدارة العثمانية في مراحل متعدّدة من حكم الولايات العراقية، كان من أبرز ملامحها الالتجاء أو الإقرار بوحدة الإدارة المركزية للولايات العراقية الثلاث، لتعقبها في مراحل أخرى محاولاتٍ جدّية لتقديم اسم «العراق» في الخرائط العامّة المتعلّقة بهذه الولايات، ولاسيما في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، بالتزامن مع مصطلحاتٍ سبق أنّ تمّ تداولها في الخرائط القديمة كمُدلولات بصفةٍ جغرافية على غرار مصطلح العراق العربي وامتداداته واندماجه مع ما وقع في شماله (إقليم الجزيرة)، أو إقليم الجبال (عراق العجم).

وكان هامشي به، هو:

من أجل متابعة جغرافية - تاريخية بشأن مصطلحات «العراق وإقليم الجزيرة وعراق العجم»، يُفضل مراجعة: كي ليسترنج، بلدان

الخلافة الشريعة، ترجمة وتعليق: بشير فرنسيس وكوركيس عواد، (د.م: مؤسّسة الرسالة، د.ت.)، ص ٤٠، ص ١١٤-١١٧، ص ٢٢٠-٢٢١.

مع الأسف المؤلّف الكريم، اعتقد أنّ النقطتين اللتين اقتبسها مني هما موجودتان بالنص الحرفي في ليسترنج؛ لأنّه اعتقد أنّ تذييل له هو اقتباس كامل حرفي منه، بدليل هو وضع هامش رقم واحد (في ص ٦٢٠، العنوان: هوامش الخاتمة في كتابه) فقط مهمّش على ليسترنج، وبالضبط في الصفحات ذاتها التي أشرت أنا بها في بحثي!

وهنا أود أنّ أثبته المؤلّف الكريم بأنّ ليسترنج لم يتناول أيّ شيءٍ يتعلّق بوضع اسم العراق في الخرائط، لا من قريبٍ ولا من بعيد.

كل ما في الأمر أنا قلت بالهامش: من أجل متابعة مصطلح العراق جغرافيًا وتاريخيًا، يُنظر ليسترنج، لا كلتا الأوصاف في النقطتين أعلاه هي فيه.

ويقول المؤلّف في خاتمته، على ص ٦٠٧، الآتي: إذا كانت أطروحة (الدولة المُصنّعة) قد بُنيت على الأنموذج الأوروبي في تكوين الدول الحديثة، ذلك الأنموذج الذي يعتمد على مفهوم (الدولة - الأمّة)، ويُرّجّحه على ما سواها من تفسيراتٍ لتكوين الدول الحديثة، ويقصرها عليه، محتسبًا إيّاها (الأنموذج الأكمل) في قياس درجة تطور الدول الحديثة النشأة، واندماج سكّانها، وتجانسهم... ويُقحمها في دائرة الإدماج القسري المُختلق... الخ. وهذا ما أرادته أو روجّته السّرديات الغربية.

أمّا النص الخاص بي، المأخوذ منه في بحثي في ص ٧٧، فنصه هو:

تصورات فرضية الدولة المُصنّعة (ولاسيما

السردية البريطانية) قد شددت على النموذج الأوروبي في تكوين الدولة الحديثة؛ ذلك النموذج الذي يُقدم فكرة ومفهوم «الدولة - الأمة» على سواه من تفسيرات تكوين الدول الحديثة ويقصرها عليه، ليعدها بالتالي النموذج الأكمل في قياس درجة تطور الدول الحديثة النشأة واندماج سكانها وتجانسهم داخل إطار الحدود الإدارية. بمعنى آخر، إنَّ عدم التماهي مع نموذج «الدولة - الأمة» سيفرز بالمحصلة إخفاقاً في تجانس المكونات الشعبية وإقحاماً للاندماج القسري المُختلف في تكوين وبنى الدولة سياسياً وإدارياً؛ وهذا بالضبط ما أرادت أن تُروجه السردية البريطانية ونظيراتها.

المُحزن والمؤلم في هذا الأمر، أنَّ هامش السيد المؤلّف وضع لغيري، إذ وضع هامش رقم (٢) الوارد في ص ٦٠٧، على كتاب المؤلّف نجيب الماجدي (هامش الكتاب في ص ٦٢٠).

كما أورد المؤلّف على ص ٦٠٨، النقطتين الآتيتين:

ب. تصاعد الاهتمام بـ(مصطلح العراق) بدلالة جغرافية شبه بديلة للتسميات الثلاثية... الخ.

ج. كما يُلاحظ، استخدام (مصطلح العراق) لدى الفئات المجتمعية العامّة، ولدى النخب العراقية. إذا كان له حضور فاعل بوصفه مُعطى جغرافياً... الخ.

هنا أوّكّد للسيد المؤلّف بأنّ هذا مقتبس من بحثي المذكور آنفاً، وعلى الصفحات ٧٧، ٩٣ وما بعدها. أليس من الإنصاف والأمانة العلمية أن يُشير إلى ذلك في الهامش؟

والأنكى من كلّ ذلك، هذه النقاط جميعها وردت في خاتمة بحثي، فهل يُبيح ذلك انتقالها إلى

الآخرين بدون تهميش مُقنع، أترك هذا التساؤل المفتوح للقراء الإجابة عليه.

لا بأس أن يُعجب أيّ كاتبٍ بمقولةٍ ما، ويود توظيفها ببحثه. لا بأس في ذلك؛ لأنّ هذا دليل على التفاعل العلمي.

لكن أن تُصاغ بأسلوب المؤلّف وتُذكر كأثبات من نتاجه، فإنّ هذا يتعارض مع الأمانة العلمية، ومنهجية البحث التاريخي.

لأنّ ما عداه، أيها السادة، سيقع المؤلّف في شرك نسبته إلية، وربما يُتهم في ذلك بكونه متهاون، ويُبيح لنفسه السطو على تأليف غيره لا سامح الله.

رَحِمَ الله الدكتور فالح عبد الجبار، مرةً قال في لقاءٍ علمي متلفز، «ربما أعجب بمقولةٍ ما لأنّ لحنها الصوتي أعجبني، لكن هنا في الغرب أكثر شيء يُحاسبون عليه هو التنصيص على الشخص القائل الفعلي».

إنّها معضلة إهمال صاحب التوصيف الأول في عُرف فوضى الاقتباس!

ختاماً، أرجو من السيد المؤلّف الرد على ملاحظاتي النقدية وفق الأسس العلمية، وفي سياق حقّ الرد الذي تكفله مجلّة دراسات تاريخية.